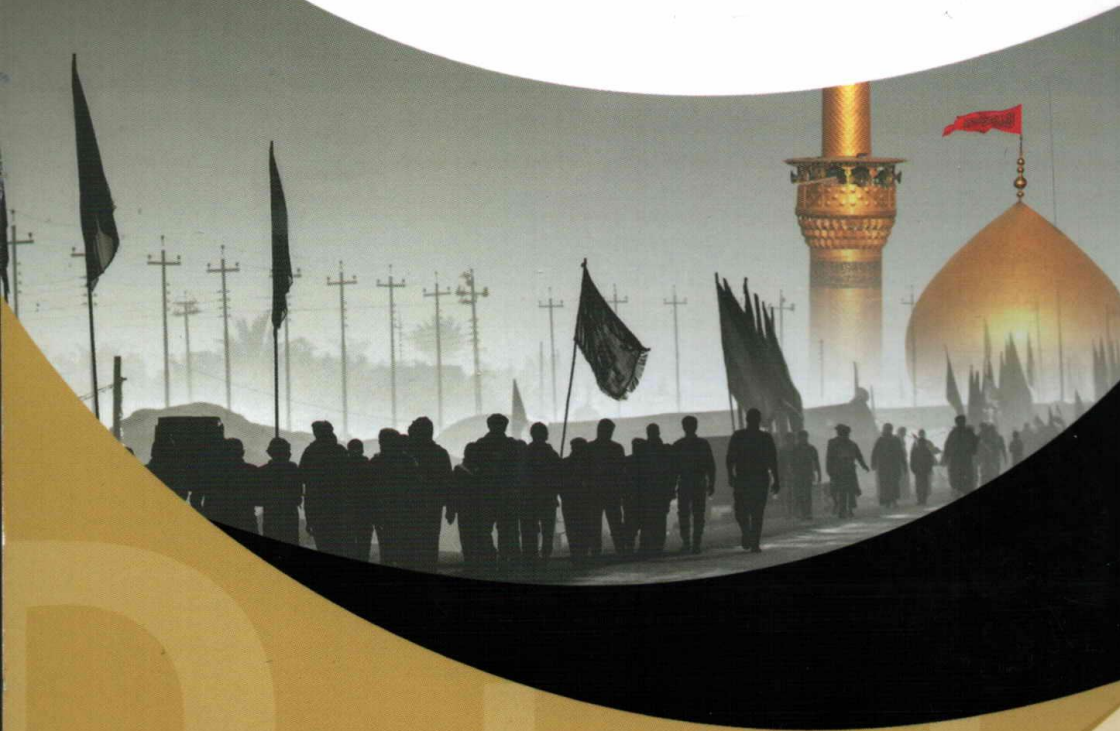




الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة



Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

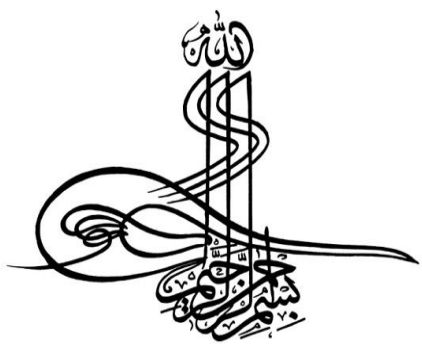
سلسلة إصدارات | 1 | مؤسسة الدليل

الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة



مؤسّسة الدليل
للدراسات والبحوث العقديّة
Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

<http://aldaleel-inst.com>
www.facebook.com/aldaleel.inst



هوية الكراس

اسم الكراسة: الزيارة الأربعينية

المؤلف: الدكتور مصطفى عزيزي

المراجعة العلمية: المجلس العلمي في مؤسسة الدليل

التقويم اللغوي: علي كيم

تصميم الغلاف: محمد حسن آزادگان

الإخراج الفني: فاضل السوداني

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى مؤسسة الدليل



مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقديّة
Al-Daleel Foundation
FOR DOCTRINAL STUDIES

<http://aldaleel-inst.com>
www.facebook.com/aldaleel.inst

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين
أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد.

تعدّ المنظومة الفكرية العقديّة من أهمّ دعائم شخصيّة الإنسان
وتميّزه البشريّ؛ فهي التي تحدّد نظره العامّة للكون وعلاقته به،
ولها تأثيرٌ مباشرٌ على مساره السلوكي وطبيعة تعاويه مع محيطه ونمط
الحياة التي يعيشها، هذا على صعيد الفرد، وأمّا على صعيد المجتمع
فإنّ المنظومة الفكرية العقديّة تنعكس على مجمل العلاقات بين
أفراد المجتمع، كما أنّها تحدّد نوع النظم السياسيّة والاقتصاديّة
والاجتماعيّة التي تحكم تلك العلاقات.

وعلى هذا فالمنظومة الفكرية والعقديّة تتحكّم بمصير الإنسان،
فإنّما أن تصنع له سعادةً واستقرارًا وحياةً كريمةً، وإنّما أن تغرقه في
شقاءٍ وفوضى وإذلالٍ.

فينبغي للإنسان أن يعتني بعقيدته، وأن يطمئنّ لسلامتها من الانحراف والتشويه، وأن يبادر لمعالجة ما يشوبها بسبب الشبهات. فالיום وفي ظلّ الظروف الراهنة التي يعيشها العالم الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، وبلدنا العراق بشكلٍ خاصّ، ندرك أنّ هناك تهديدًا كبيرًا للفكر والعقيدة الإسلاميّة الحقّة ومن دوائر مختلفة، ونستشعر حاجة مجتمعنا الماسّة والملحّة لبيان معالم العقيدة الصحيحة، ورفع الشبهات التي ألّبت على بعض الناس عقائدهم.

من هنا جاء مشروع مؤسّسة الدليل للبحوث والدراسات العقديّة التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة؛ تلبيةً لهذه الحاجة، وليحمل على عاتقه مسؤوليّة التصديّ لدفع الشبهات، والتأكيد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّات المتاحة؛ وذلك للمساهمة في سدّ الفراغ الفكريّ العقديّ الذي يعاني منه المجتمع.

ومن أبرز تلك الوسائل المعتمدة في مشروعنا أسلوب البحث وفق رؤية علميّة موضوعيّة، وبخطابٍ سلسٍ شيقٍ يتناغم مع أغلب شرائح المجتمع، فكان قرار المجلس العلميّ الموقر في المؤسّسة إطلاق مشروع سلسلة الكراسات العقديّة، وهي مؤلّفات موجزة في شكلها وحجمها، كبيرة في مضمونها وأهدافها، صمّمت لمعالجة موضوعات محدّدة وحسب الحاجة الفعلية.

وبما أننا نعيش أيام الأربعينية الخالدة لسيّد الشهداء عليه السلام،
حيث الحضور المليونيّ والأجواء الروحيّة والمعنويّة العالية، وجدنا من
المناسب إصدار كراسةٍ في المناسبة، مستوحاةٍ من المضامين العقديّة
في متن الزيارة الأربعينيّة، فجاءت هذه الكراسة التي بين أيديكم؛
لتكون بذرةً طيبةً في هذا الاتجاه.

وفي النهاية لا يفوت المؤسسة أن تشكر عضو المجلس العلميّ
فيها الأستاذ الدكتور مصطفى عزيزي علويّجه؛ لما بذله من جهدٍ قيّمٍ
في كتابة هذا البحث، راجين له التوفيق والسداد.
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين
الطاهرين.

المُقَرَّرَةُ

لا شكَّ أنَّ الأدعية والزيارات الماثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام مليئةٌ بكنوز المعارف والتعاليم الحقّة في العقيدة والأخلاق والسلوكيّات الفرديّة والاجتماعيّة، ولعلَّ أبرز هذه الزيارات زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومن أهمّها زيارة الأربعين الماثورة عن الإمام الصادق عليه السلام.

والزيارة - عند متشركة الإماميّة - لفظ مشتركٌ بين معنيين هما:

الأول: الظاهرة السلوكيّة المتمثلة بالمسير نحو حرم أولياء الله - تعالى - والحضور في مشاهدهم المقدّسة.

الثاني: النصوص الماثورة عن المعصومين عليهم السلام التي ينبغي قراءتها عند اعتبارهم وفي مشاهدهم الطاهرة.

والمقصود من الزيارة الأربعينيّة في هذه الكراسة هو المعنى الثاني، أي النصّ الوارد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم العشرين من شهر صفرٍ، وإن كانت الزيارة بحسب المعنى الأوّل أعلاه تمهّد الأرضيّة لقراءة النصوص الماثورة، ولها أهمّيّتها البالغة، إذ إنّ الله

جعل أفئدةً من الناس تهوي إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام في ذكرى أربعينته الخالدة التي هي أعظم تجمع عالمي سلمي، إذ يأتي عشاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام من مختلف أرجاء العالم ومن كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، ومن تلك المنافع تعميق العُلقة العقدية وترسيخها، وإزالة الشبهات الفكرية والاعتقادية من الأذهان. فهذه فرصة ثمينة لترسيخ الأبعاد العقدية في مضامين الزيارة الأربعينية وتبيينها، من التوحيد ومعرفة الله والنبوة الإمامة والمعاد.

ولا شك أن الاطلاع على الأبعاد العقدية المتضمنة في الزيارة الأربعينية خاصة، وفي سائر زيارات سيد الشهداء وباقي الأئمة عليهم السلام عامة، تجعل الزائر على بصيرة ومعرفة أثناء أدائه الزيارة؛ ليكون مصداقاً حقيقياً لعنوان (من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه)، الوارد في حديث الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»¹، أو ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ»².

1- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج 14، ص 417.

2- المصدر نفسه، ج 14، ص 418.

فينبغي لزوّار الأربعين أن يستحضروا هذه الأبعاد العقديّة والمعارف التوحيدية؛ لأنّ الهدف الأسمى في النهضة الحسينيّة هو استنقاذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة، كما ورد في الزيارة الأربعينيّة: «فَاعْذَرِ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنْحِ التُّصَحَّحِ، وَبَدِّلْ مُهْجَتَهُ فِيكَ؛ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ»¹.

كما ينبغي لزوّار الأربعين أن يسعوا في رفع مستوى المعرفة والبصيرة والرفق نحو الهداية والقيم الحسينيّة، «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...»²؛ لتكون زيارتهم مفعمة بالمعرفة والإيمان.

وقد سميّ يوم العشرين من شهر صفرٍ بأربعين الحسين (عليه السلام)؛ وذلك لمضي أربعين يوماً على مقتله (عليه السلام)، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاريّ صاحب النبي (صلى الله عليه وآله) من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فكان أول من زاره من الناس³. ولعدد الأربعين أهميّة خاصّة، ويدلّ على ذلك موارد استعمال

1- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.

2- سورة يوسف: 108.

3- الكفعمي، إبراهيم بن عليّ العاملي، المصباح، ص 489.

مفردة (أربعين) في النصوص الدينية¹.

وفي الكراسة التي بين أيديكم قراءةً في الأبعاد والمضامين العقديّة في الزيارة الأربعينيّة المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام، التي تشمل على أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام وأسس العقديّة، فينبغي تسليط الضوء عليها لمن يتشرف بزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الأربعين.

1- من موارد استعمال مفردة (أربعين) في النصوص الدينيّة ما يلي:

أ. كان ميقات النبي موسى عليه السلام أربعين ليلةً: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة:

الآية 51]

ب. حفظ أربعين حديثاً من أحاديث أهل البيت عليهم السلام: قَالَ النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ مِنْ أُمِّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا يَنْتَفِعُونَ بِهَا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا». [وسائل الشيعة، ج

27، ص 93]

ج. الإخلاص أربعين صباحاً: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ». [عيون الأخبار

الرضا عليه السلام، ج 2، ص 69]

د. من بلغ الأربعين من عمره فليحذر من الله: قَالَ الصادق عليه السلام: «إِذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلْيَأْخُذْ حِذْرَهُ مِنَ اللَّهِ». [مجموعه ورام، ج 1، ص 34]

هـ. بعثة النبي الأكرم محمد ﷺ في الأربعين من عمره الشريف.

و. أن تكمل النبي آدم عليه السلام وتسويته كان في أربعين يوماً. [شرح أصول الكافي للمولى

صالح المازندراني، ج 2، ص 232]

ز. انقلاب النطفة في الرحم إلى مبدأ الصورة الإنسانيّة يكون في الأربعين. [المصدر نفسه]

وقبل الدخول في صلب الموضوع ينبغي لنا أن نبين باختصار مشروعيّة الزيارة الأربعينيّة وأهمّيّتها وآثارها الفرديّة والاجتماعيّة.

مشروعيّة الزيارة الأربعينيّة

لاخلاف في مشروعيّة زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل وفي استحبابها، وقد وردت في هذه الزيارة نصوص كثيرة يظهر من بعضها الإلزام¹، حتّى صرّح بعض الفقهاء بأنّها من ضروريّات المذهب أو الدين².

ويمكن الإشارة إلى وجه مشروعيّة زيارة الأربعين واستحبابها من خلال النقاط التالية:

أ- أنّ الزيارة الأربعينيّة تعدّ من الشعائر الحسينيّة المهمّة، والشعائر الحسينيّة تعدّ من شعائر الله، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾³؛ فتعظيم الزيارة الأربعينيّة من تقوى القلوب؛ لأنّ المقصود بشعائر الله علامات دين الله، والأعلام التي

1- انظر: النجفي، محمدحسن، جواهر الكلام، ج 20، ص 93-95.

2- انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد.

3- سورة الحجّ: 32.

نصبها الله - تعالى - لطاعته¹، كما في الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾²، فَإِنَّ الصفا والمروة من العلامات التي تدلّ على الله وتذكّر به، وترشد العباد إلى عبوديته، وكذلك زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل إِنَّ الإمام الحسين عليه السلام نفسه من شعائر الله؛ لأنّه يدلّ العباد على طاعة الله - تعالى - ومرضاته؛ لذا ورد في ألقاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام أنّه (الدَّلِيلُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)³، فهو علامة ونبراس لعبودية الله - تعالى - وزيارته تعظيم لشعائر الله، وقد ذكر بعض الفقهاء أنّ التعظيم الذي له مدخلة في حفظ مرتبة ذلك الشيء المحترم، وله ربط في احترامه فهو واجب فعله محرّم تركه⁴، وعدّوا هذا الاستدلال كافياً في ثبوت الاستحباب لما نحن بصددّه.

ب- أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدّ من حُرُمَاتِ اللَّهِ التي قال فيها تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾⁵،

1- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 14، ص 373.

2- سورة البقرة: 158.

3- الإرطبي علي بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 4.

4- انظر: المراغي، عبد الفتاح، العناوين الفقهية، ج 1، ص 562.

5- سورة الحج: 30.

والمراد من حُرّمات الله ما لا يجوز انتهاكه، ويجب رعايته والقيام به، ويحرم التفريط فيه¹، ومّا تقدّم ثبت أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام ممّا ينبغي رعايته ويحرم التفريط به، إذن هي من حرّمات الله - تعالى - التي في تعظيمها الخير عند الله تعالى.

ج - تعدّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين مصداقاً للهجرة إلى الله، إذ يخرج الزائر من بيته ابتغاء وجه الله ومرضاته؛ لتشديد كلمة الحقّ، وتضعيف كلمة الباطل: ﴿... وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾². وقد ورد في الزيارة المطلقة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام: «ألتمس كمال المنزلة عند الله، وثبات القدم في الهجرة إليك»³.

د- أنّ الزيارة الأربعينيّة هي مصداقٌ لإظهار المودّة الواجبة لأهل البيت عليه السلام؛ إذ يتحمّل زوّار الإمام الحسين عليه السلام في هذه الذكرى الأربعينيّة المشاقّ والصعوبات، ويقطعون مسافاتٍ شاسعةً ليؤدّوا

1- الطبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسين، مجمع البيان، ج 7، ص 130.

2- النساء: الآية 100.

3- المجلسي، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 98، ص 152.

أجر الرسالة، ألا وهي المودة في القربى: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾¹، و﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوَ لَكُمْ...﴾². ويأتي الزوّار أيضًا ليلبّوا داعي الله، كما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ! إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكَ، وَلِسَانِي عِنْدَ اسْتِنصَارِكَ، فَقَدْ أَجَابَكَ قَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي، سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا»³.

هـ- ما ورد عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ، وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»⁴.

و- دعاء الإمام الصادق عليه السلام في حق زوّار جدّه أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الأربعين، إذ قال عليه السلام: «يَا مَنْ خَصَّنَا بِالكَرَامَةِ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي، وَلِزَوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ، رَغْبَةً فِي بَرِّنَا،

1- سورة الشورى: 23.

2- سورة سبأ: 47.

3- ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 3، ص 342.

4- المصدر نفسه، ص 353.

وَرَجَاءَ لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا، وَسُرُورًا أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا، وَعَظِيمًا أَدْخَلُوهُ عَلَى عِدْوَتَنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ
رِضْوَانَكَ. فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَكَلَّاهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْلُفْ
عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ خُلِفُوا بِأَحْسَنِ الْخُلُفِ، وَاصْحَبْهُمْ،
وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَدِيدٍ، وَشَرِّ
شِبَاطِينَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ
أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آتَرُونَا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ.

اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ
التُّهُؤُوسِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافًا مِنْهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفْنَا، اللَّهُمَّ فَارْحَمْ
تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، ارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ عَلَى
قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً
لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزَعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ
الصَّرَخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا¹.

ز - سيرة المتشرّعة المستمّرة على مرّ العصور من أصحاب
النبي الأكرم ﷺ والأئمّة الطاهرين ﷺ مثل جابر بن عبد الله
الأنصاري رحمه الله الذي ورد كربلاء في يوم الأربعين من سنة إحدى
وستين للهجرة.

ومن مجموع ما تقدّم يظهر أنّ الزيارة الأربعينيّة مشروعةٌ وجائزةٌ بنصّ القرآن الكريم؛ لأنّها مصداقٌ واضحٌ لتعظيم شعائر الله وتعظيم حرّماته سبحانه، كما أنّها من المودّة الواجبة لأهل البيت عليه السلام الثابتة بنصّ الكتاب، وهي أيضًا مصداقٌ للهجرة إلى الله، وتدلّ عليها السنّة أيضًا، مضافًا إلى سيرة المشرّعة كما تقدّم بيانه، وبناءً على ذلك أجمع الفقهاء على استحباب زيارة الأربعين¹، وقد عقد الشيخ الحرّ العامليّ بابًا خاصًّا بزيارة الأربعين يحمل عنوان: (بَابُ تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ مَقْتَلِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ)².

أهميّة الزيارة الأربعينيّة

أهميّة كلّ شيءٍ وقيّمته تظهر من خلال آثاره ونتائجها، وللزيارة الأربعينيّة آثارها وبركاتها الفرديّة والاجتماعيّة المتميّزة والفريدة؛ فينبغي للزائر الكريم أن يلتفت إليها، ومن جملة تلك الآثار العظيمة:

1- انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهدّد، ج 2، ص 787؛ النجفي، محمدحسن،

جواهر الكلام، ج 20، ص 93 - 95.

2- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج 14، ص 477.

- تعزيز روح التأسّي والاقتداء: فلو سألنا وجدان الزائر عن سبب تحمّله كلّ هذه المشاق والمعاناة في سبيل أداء شعيرة الزيارة الأربعينيّة، فسنسمع لسان حاله يقول: إنّ قدوتنا الحسين مثلاً للصبر والشجاعة والتضحية، وها نحن قد جئنا لنجدّد العهد والميثاق لأسوتنا وقدوتنا الإمام الحسين عليه السلام.

- تعزيز روح المواساة: يعتقد الزائر الحسينيّ أنّ المشاركة في ملحمة الأربعين هي من أجل مواساة أهل البيت عليهم السلام في حزنهم ومصابهم، فتكون الزيارة في هذه المناسبة أسلوباً رائعاً لإظهار العزاء والحزن ومواساة الإمام الحجة عليه السلام في مصيبة جدّه الغريب.

- إظهار المودّة والمحبة والولاء لأهل بيت النبوة عليهم السلام: لقد تجسّدت المودّة للقربى في المشي على الأقدام نحو حرم الإمام الحسين عليه السلام في الزيارة الأربعينيّة؛ فكلّ خطوة يخطوها الزائر الحسينيّ هي إظهاراً لمودّة الإمام الحسين عليه السلام وتأكيداً لمحبتّه وولائه.

- أنّ هذه الزيارة أحد أهمّ العوامل لتتميم مكارم الأخلاق، وزرع السجايا الفاضلة في المجتمع: إذ تتجلّى في هذه المناسبة القيم الإنسانيّة الرفيعة كالتآخي والتناصر، والتآزر والبذل، والسخاء والإيثار، والتواضع والخدمة العامّة، والرفق والتسامح، والتكافل وكلّ معاني الخير والبرّ، فالأربعون بحقّ مدرسة أخلاقيّة كبرى لا

تضاهيها مدرسةً من المدارس البشريّة الأخرى، ومهرجاناً للفضائل الإنسانية بكلّ صورها وأشكالها.

ولعلّ من أهمّ هذه القيم قيمة الكرم والبذل التي يتحلّى بها الناس في هذه الأيام المباركة؛ إذ يبذلون مالهم ووقتهم في خدمة زائري أبي عبد الله عليه السلام، ومن ناحية أخرى يتحمّل الزائر مخاطر الطريق، ولا يخاف الإرهاب والقتل؛ فهو مستعدّ للتضحية والجود بالنفس في سبيل الإمام الحسين عليه السلام، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

- تجلّي المعنويّات والعبادات: لا شك أنّ زائر الأربعين تزداد رغبته في ذكر الله، ويزداد اشتياقه إلى عبادته والتضرّع بين يديه - سبحانه - ومناجاته آناء الليل وأطراف النهار، وهذه من بركات الزيارة العظيمة.

- تقوية عنصر الطاعة والانقياد لأهل البيت عليه السلام: إذ يرى الزائر الحسيني نفسه في هذه الفترة منقاداً لأئمة الهدى عليه السلام أكثر ممّا كان عليه في سائر أيام السنة.

- الزيارة فرصةً للقرب المعنويّ من المזור والاكْتساب من أخلاقه والتحلّي بصفاته؛ لأنّ حقيقة الزيارة هي حضور الزائر عند المזור،

والتسليم عليه والارتباط الروحيّ والقلبيّ به، والاستمداد من روحه لأجل جلب الخير أو دفع الضرر¹. ولا شكّ فإنّ ذلك رهين شروطٍ روحيّة ونفسيّة يأتي على رأسها الإعراض عن متاع الدنيا وزينتها وزخرفها، واجتناب المعاصي والشهوات، وتطهير النفس من الشرك والرزائل². فكلّما كانت الشروط والظروف مهيةً أكثر، كانت الزيارة ألدّ وأدوم وأشدّ تأثيراً على روح الزائر.

- الزيارة فرصةٌ لتجديد التوبة ومراجعة الذات وإصلاح النفس وإعطاء العهد بذلك للإمام الحسين عليه السلام.

- نبذ السلوكيّات غير الدينيّة كالعصبيّة والتكبر: وهذا من أهمّ ثمرات الزيارة الأربعينيّة، فالزيارة تدعو الناس إلى نبذ التعصّبات القوميّة والطائفيّة، والتوحد والتضامن تحت راية الإمام الحسين عليه السلام، فحبّ الحسين عليه السلام هو الذي يجمع هذا الحشد الغفير الذي ينتمي إلى جنسيّات ومذاهب شتى تحت هذه الراية، بل إنّنا قد نرى أيضاً أتباعاً لأديانٍ أخرى غير الإسلام في هذه الزيارة التي أخذت أبعاداً دينيّة وإنسانيّة واسعة.

1- ابن سينا، الحسين، رسائل ابن سينا، ص 338؛ موسوعة زيارات المعصومين، ص 52.

2- المصدر نفسه.

- أصبحت الزيارة الأربعينية في الوقت الراهن نبراساً لجهة الحق، وتلبيةً لِنِدَائِي «هل من ناصرٍ ينصرني» و«هل من ذابَّ يذبَّ عن حرم رسول الله ﷺ»، بل صارت الزيارة الأربعينية بحضور هذا الحشد الغفير من عشاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام من أرجاء العالم شوكةً في أعين أعداء الأمة الإسلامية، وخنجرًا في نحرهم؛ فينبغي تعظيم هذه الشعيرة الإلهية وأن نرّي أجيالنا عليها.

وبعد هذه المقدمة - في مشروعية الزيارة وأهميتها - نشرع في الحديث عن الأبعاد والمضامين العقدية في زيارة الأربعين:

متن الزيارة الأربعينية

السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ، السَّلَامُ عَلَى خَلِيلِ اللَّهِ وَنَجِيِّهِ،
السَّلَامُ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ
الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ وَقَتِيلِ الْعَبْرَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ
أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ،
أَكْرَمْتُهُ بِالشَّهَادَةِ، وَحَبَوْتُهُ بِالسَّعَادَةِ، وَاجْتَبَيْتُهُ بِطِيبِ الْوِلَادَةِ،
وَجَعَلْتُهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ، وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَذَائِدًا مِنَ الذَّادَةِ،
وَأَعْظَيْتُهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ،

فَأَعَذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنَحَ التُّصَحَّ وَبَدَّلَ مُهَجَّتَهُ فِيكَ؛ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ
 مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ، وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنُ غَرَّتُهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ
 حَظَّهُ بِالْأَرْدَلِ الْأَذْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَعَطَّرَسَ
 وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْحَطَكَ وَأَسْحَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ
 الشَّقَاقِ وَالتَّفَاقِ وَحَمَلَةَ الْأُوزَارِ، الْمُسْتَوْجِبِينَ التَّارَ، فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ
 صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَتَّى سَفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمُهُ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ. اللَّهُمَّ
 فَالْعَنُهُمْ لَعْنًا وَبِيلًا، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ
 اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِينُ اللَّهِ وَابْنُ
 أَمِينِهِ، عِشْتَ سَعِيدًا وَمَضَيْتَ حَمِيدًا وَمُتَّ فَقِيدًا مَظْلُومًا شَهِيدًا،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِزُ مَا وَعَدَكَ، وَمُهْلِكُ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبُ مَنْ
 قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَتَاكَ
 الْيَقِينُ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً
 سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اللَّهُمَّ إِلَيَّ أَشْهَدُكَ أَنِّي وَلِيُّ لِمَنْ وَالَاهُ،
 وَعَدُوُّ لِمَنْ عَادَاهُ. يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ
 نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ
 بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمَاتُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ

الَّذِينَ وَأَرْكَانَ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْقِلَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ
التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الرَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ وَلَدِكَ كَلِمَةُ
التَّقْوَى وَأَعْلَامُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ
أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيَابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ دِينِي وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي،
وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلَمٌ وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ
مُعَدَّةٌ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ،
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ
وَعَايِكُمْ وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الأبعاد العقديّة في متن الزيارة الأربعينيّة

يحتوي نصّ الزيارة الأربعينيّة الماثورة عن إمامنا الصادق عليه السلام أبعادًا اعتقاديّةً ينبغي للإنسان معرفتها والإيمان بها، وهي كالآتي:

البعد الأوّل: معرفة الله وتوحيده في زيارة الأربعين

إنّ الزيارات الماثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في خصوص الإمام الحسين عليه السلام مشحونةٌ بالمعارف التوحيدية ومعرفة الله تعالى. فقد علّمنا أهل البيت عليهم السلام التكبير والتهليل والتحميد لله - عزّ وجلّ -

قبل البدء بالزيارة، وفي هذا سرٌّ عظيمٌ، وهو أنّ التوحيد ومعرفة الله تعالى والتقرّب إليه هو الهدف الأسمى من زيارة المعصومين عليهم السلام؛ لكونهم محالّ معرفة الله، وأنهم التأمون في محبّته تعالى، والمخلصون في توحيده سبحانه.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال في زيارة جدّه أبي عبد الله الحسين عليه السلام: امش حافيّاً، وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهلّيل والتمجيد والتحميد والتعظيم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وقل: «الحمد لله الواحد المتوحّد بالأمر كلّها، خالق الخلق لم يَعْزُب عنه شيءٌ من أمورهم، وعالمٌ كلّ شيءٍ بغير التعليم»¹، ثمّ امش قليلاً وقصّر خطاك، فإذا وقفت على التلّ واستقبلت القبلة قل: «لا إله إلّا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله مع علمه منتهى علمه... والحمد لله بجميع محامده على جميع نعمه، ولا إله إلّا الله والله أكبر، وحقٌّ له ذلك. لا إله إلّا الله الحليم الكريم، لا إله إلّا الله العليّ العظيم، لا إله إلّا الله نور السماوات السبع ونور الأرضين السبع، ونور العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين»².

1- المجلسي، محدّباقر، بحار الأنوار، ج 98، ص 168.

2- المصدر نفسه.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على مدى اهتمام العترة الطاهرة بمسألة التوحيد ومعرفة الله تعالى، وتعليمها لشيعتهم ومحبيهم في ضوء الزيارات الماثورة عنهم؛ حتّى لا يضيّعوا الصراط المستقيم، وهو العبوديّة لله تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾¹، وفي ذلك ردٌّ على من يرمي الزيارة بالشرك مع أنّها مفعمةٌ بمعاني التوحيد الخالص كما عرفت.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ الغاية القصوى من خلق الإنسان عبوديّة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾²، والعبوديّة الحقيقيّة لا تتحقّق إلّا في ضوء معرفة الله تبارك وتعالى، فمن كملت معرفته كملت عبوديته لله سبحانه. والطريق الصحيح إلى معرفة الله هو معرفة الإمام المفترض الطاعة؛ لذا ورد في الحديث الصحيح أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ الحسين بن عليّ خرج على أصحابه فقال: أيّها الناس، إنّ الله - جلّ ذكره - ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه. فقال له رجلٌ: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي، فما معرفة الله؟ قال

1- سورة يس: 61.

2- سورة الذاريات: 56.

معرفة أهل كلّ زمانٍ إمامهم الذي تجب عليهم طاعته¹.
قال العلامة المجلسي في تفسير هذا الحديث الشريف: «إنّ معرفة الله إنّما يحصل من معرفة الإمام؛ إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى»². «ولمّا كانت المعارف الدينيّة العقلية والسمعية تحصل من جهة الإمام، وكان الإمام أمرًا بذلك و داعيًا إليه، صحّ القول إنّ معرفة الإمام وطاعته هي معرفة الله سبحانه»³.

من هنا يتّضح سبب اعتبار زيارة الأربعين من علامات المؤمن فيما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ويتّضح أيضًا لماذا ورد في الزيارة الأربعينيّة المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ سيّد الشهداء عليه السلام هو "مَعْقِلُ الْمُؤْمِنِينَ"⁴؟

فلعلّ السرّ هو ما ورد في الزيارة الأربعينيّة المأثورة من أوصافٍ وخصائص لمولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام ألا وهي: "وليّ الله"، "حبيب الله"، "خليل الله"، "نجيب الله"، "صفيّ الله"، "أمين

1- المجلسي، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 5، ص 312.

2- المصدر نفسه.

3- المصدر نفسه، ج 23، ص 93.

4- ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.

الله"، وهذه الأوصاف السامية والعظيمة تكشف عن المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة للإمام عليه السلام عند الله تعالى؛ فلا يمكن لأحد أن يؤمن بالله - سبحانه - دون أن يؤمن بوليّه وحبيبه وخليله ونجييه وصفيّه.

وبما أنّ "المعرفة" هي الركيزة الأساسيّة في حقيقة الإيمان، فلا معنى للإيمان إلّا في ضوء المعرفة، فكلّما زادت المعرفة زاد الإيمان، فمعرفة الإمام الحسين عليه السلام بأنّه وجه الله ونور الله وخليفة الله، تؤدّي بطبيعة الحال إلى معرفة الله تعالى؛ لأنّ الإمام عليه السلام هو المظهر الأتمّ لأسماء الله - تعالى - وصفاته العليا، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾¹ قال عليه السلام: «نَحْنُ وَاللّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ الَّذِي لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا»².

فلا يمكن معرفة الله حقّ معرفته إلّا في ضوء معرفة وليّه وحبيبه ونجييه وصفيّه، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «من عرفكم فقد عرف الله»، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الإمام

1- سورة الأعراف، 180.

2- العياشي، محمّد بن مسعود، كتاب التفسير، ج 2، ص 42.

الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا مَنْ رضاه مِنْ رضى الرحمن، وسخطه مِنْ سخط الرحمن، السلام عليك يا أمين الله وحجّته، وباب الله، والدليل على الله، والداعي إلى الله»¹؛ فمن عرف الإمام الحسين عليه السلام بهذه الأوصاف العظيمة فقد عرف الله تعالى. وقد روي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة جدّه أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم»².

فالزيارة الأربعينيّة ترشدنا إلى أنّ الطريق القويم للتوحيد ومعرفة الله تعالى لا تنفكّ عن معرفة الإمام المفترض الطاعة ومعرفة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَشَهَادَةُ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَمْنًاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخَزَائِنُهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَوَجْهُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، وَعَيْنُهُ فِي بَرِّيَّتِهِ، وَلِسَانُهُ التَّاطِقُ، وَبَابُهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ. نَحْنُ الْعَالَمُونَ بِأَمْرِهِ، وَالِدَّاعُونَ إِلَى سَبِيلِهِ، بِنَا عُرِفَ اللَّهُ، وَبِنَا عُبِدَ اللَّهُ. نَحْنُ الْأَدِلَّةُ عَلَى اللَّهِ، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللَّهُ»³.

1- الكفعمي، إبراهيم بن عليّ العاملي، البلد الأمين، ص 281.

2- الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج 14، ص 492.

3- ابن بابويه، محمّد بن عليّ، التوحيد، ص 152.

قال بعض العلماء في تفسير هذه الفقرة الأخيرة من الحديث: «المقصود هو أنّ غيرنا أهل البيت لا يعبدون الله حقّ عبادته، ولا يعرفونه حقّ معرفته، ولا يوحدونه حقّ توحيدهِ؛ لأنّ توحيدهم لله توحيدٌ ناقصٌ مخلوطٌ بالشرك. فإنّ التوحيد الخالص مختصٌّ بالأولياء الكاملين، ومن لم يوحدْه حقّ توحيدهِ لم يعرفه حقّ عرفانه، ومن لم يعرفه حقّ عرفانه لم يعبدْه حقّ عبادته؛ إذ العبادة فرع المعرفة، فمن كان معرفته ناقصةً كانت عبادته ناقصةً مشوبةً بعبادة الغير»¹.

البعد الثاني: النبوة في زيارة الأربعين

النبوة أصلٌ من أصول الدين وركنٌ من أركان الإيمان، فالزائر يشهد ويقرّ في زيارته لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بنبوة سيّد الأنبياء المرسلين، وأمين وحيه وحبّيه محمّد بن عبد الله (عليه السلام)؛ ويشهد أيضاً في زيارته شهادةً صريحةً بنبوة الأنبياء السابقين الذين تحمّلوا أعباء النبوة والرسالة كآدم صفوة الله، ونوح أمين الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله - صلوات الله عليهم أجمعين - كما ورد في زيارة الوارث².

1- صدر الدين الشيرازي، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج 4، ص 173 و174.

2- لجنة التأليف بمؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، موسوعة زيارات المعصومين (عليه السلام)، ص 156.

الحسين عليه السلام وارث الأنبياء

وقد وردت في الزيارة الأربعينيّة الماثورة أنّ موارث الأنبياء عليه السلام قد أعطيت لمولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «وَأَعْطَيْتُهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ»¹، فالإمام عليه السلام وارث الأنبياء عليه السلام، ومستودع ودائع الرسالة والنبوة من العلم والعصمة والكمالات النفسية.

إنّ كلمة (وَرِثَ) في اللغة تعني أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسبٍ أو سببٍ². والشرط الأساسي في الميراث هو الانتساب المعبر عنه "بموجب الإرث"، فموجب الإرث في التوارث المادّي هو الانتساب السببي كالزوجيّة، والانتساب النسبي كالأبوة والبنوة. أمّا موجب الإرث في التوارث المعنوي هو الانتساب المعنوي والروحي، كما هو في أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي ورث موارث الأنبياء عليه السلام بسبب الانتساب المعنوي بالنبوة³؛ لذا نقرأ في زیارت الوارث: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ،

1- المصدر نفسه، ج 2، ص 590.

2- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج 6، ص 105.

3- جوادي آملي، عبد الله، أدب فناء المقرّبين، ج 2، ص 84.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ»¹.

إنّ موارِيثَ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِي النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ أَوْرَثَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَوْرَثَهَا أَبْنَاءَهُ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ - وَهَلَمَّ جَرًّا - إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. قِيلَ لَهُ: وَمَا تِلْكَ السُّنَنُ؟ قَالَ: عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»².

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ دَاوُودَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُودَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَالْوَحْيَ مُوسَى»³. فالَّذِينَ يَبَايَعُونَ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الزِّيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ عَلَى وَلَايَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ إِنَّمَا يَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ كَافَّةً.

1- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 63.

2- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج 1، ص 553.

3- المصدر نفسه، ج 1، ص 559.

البعد الثالث: الإمامة في زيارة الأربعين

الإمامة في مدرسة أهل البيت عليه السلام امتداد لحظّ النبوة، بمعنى أنّ وظائف النبوة من حفظ الدين وتبيينه وتفسيره وتنفيذه في المجتمع ثابتة للإمام عليه السلام؛ إذ هو الصائن للدين، والمتكفل بأمره بعد رسول الله ﷺ. إنّ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يربط الإمامة بالنبوة بشكليّ دقيقٍ حيث يقول:

«إِنَّ الْإِمَامَةَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ رَسُولِهِ ﷺ وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَخِلَافَةُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليه السلام»¹.

ويؤيّد ما ورد في المصادر العامّة والخاصّة عن النبيّ الأعظم ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»². فكما أنّ رسول الله ﷺ سبب إحداث الدين، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام هو سبب إبقاء الدين

1- الطبرسي، أحمد بن عليّ، الاحتجاج، ج 2، ص 435.

2- المجلسي، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 43، ص 261؛ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 3، ص 301.

واستدامته؛ لذلك جعل الله - تعالى - طاعة أولى الأمر بجنب طاعته وطاعة الرسول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ دَاوُودَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُودَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْوَحَ مُوسَى»².
ومما تضمّنته زيارة الأربعين في عقيدة الإمامة أمران مهمّان:

الأول: صفات الإمام عليه السلام

وردت في الزيارة الأربعينيّة الماثورة عن الإمام الصادق عليه السلام أوصافٌ وخصائص للإمام الحسين عليه السلام تعدّ منشورًا جامعًا لتعريف مقام الإمامة والولاية، فمن عرف هذه الخصائص فقد عرف مكانة أهل البيت عليهم السلام وشؤونهم ودورهم في المنظومة المعرفيّة الدينيّة، فقد جاء في الزيارة: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ الْتَقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهَادِي

1- سورة النساء: 59.

2- المصدر نفسه، ج 1، ص 559.

34 الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة

المَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْإِيْمَةَ مِنْ وَلَدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَعْلَامُ الْهُدَى
وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا». وورد أيضًا: «وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً
عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ»¹.

هذه الفقرة من الزيارة تحتوي على أمرين:

– مقام الإمامة ﷺ ومكانته.

– خصائص الإمام وأوصافه المتميّزة.

أمّا مقام الإمام ومكانته؛ فلأنّ الإمام هو وصيّ رسول الله ﷺ
وحجّته على خلقه، وهو من دعائم الدين وأركانه، فلو زال ركن الدين
ودعامته فقد زال أصل الدين. والإمام ركن المسلمين أيضًا،
والمسلمون يعتمدون عليه في دينهم ودنياهم. والإمام معقل
المؤمنين، بمعنى أنّ الإمام هو الحصن المنيع الذي يحفظ المؤمنين عن
المخاطر والزلّات والانحرافات.

وأمّا الخصائص؛ فلأنّ هذه المقامات السامية المذكورة
للإمام ﷺ تستلزم أوصافًا وخصائص فريدة ومتميّزة، وقد أحصت
الزيارة الأربعينيّة هذه الخصائص، وتتلخّص في خصلتين:

– العصمة والطهارة: «أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الرَّكِيُّ

1- ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.

الهادي المَهْدِيُّ».

- العلم والهداية الخاصّة من الله تعالى: «أَعْلَامُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا»، «وَجَعَلَتْهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنْ الْأَوْصِيَاءِ». فإنّ العلم والهداية من لوازم كون الإمام حجةً على الخلق أو كونه من أعلام الهداية. وقد ذكر الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الخصائص المذكورة في الزيارة الأربعينيّة بعباراتٍ أخرى:

«الْإِمَامُ مُطَهَّرٌ مِنَ الذُّنُوبِ، مُبَرِّأٌ مِنَ الْعُيُوبِ، مَخْصُوصٌ بِالْعِلْمِ، مَوْسُومٌ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ، الْإِمَامُ وَاحِدٌ ذَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ بَدَلٌ، وَلَا لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ»¹.

الثاني: العقيدة المهدويّة

هناك علاقةٌ وطيدةٌ وصلةٌ وثيقةٌ بين الملحمة الحسينيّة ومشروع المهدويّة في آخر الزمان، ويمكن أن نستكشف ملامح هذا الارتباط العميق في الزيارة الأربعينيّة من خلال النصّ التالي:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَيَّامَ مِنْ وَلَدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَعْلَامُ الْهُدَى،

1- الطبرسي، أحمد بن عليّ، الاحتجاج، ج 2، ص 435.

وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا. وَأَشْهَدُ أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ
وَبِإِيَابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ دِينِي¹، وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ
سِلْمٌ، وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ
لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ».

من اختصاصات المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وميزاته هي أن
الله جعل الإمامة في ولده، والتاسع من ولده هو الإمام المهدي عليه السلام.
وقد وصفت الزيارة الأربعينيّة الماثورة الأئمة من ولد الحسين عليه السلام -
وفي ضمنهم الإمام المهدي عليه السلام - بأنهم كلمة التقوى، والعروة الوثقى،
والحجة على أهل الدنّيا.

وهناك عبارة في الزيارة الأربعينيّة تصرّح بالقضيّة المهدويّة، ألا
وهي: «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ»، أي: حَتَّى يَأْذَنَ
الله بخروج الإمام المهدي عليه السلام وتحقيق الدولة الكريمة.

هذه الفقرة من الزيارة الأربعينيّة تحدّد صفات المنتظرين للدولة
الكريمة، ألا وهي: الإيمان بالأئمة الطاهرين عليهم السلام: «إِنِّي بِكُمْ
مُؤْمِنٌ»، واليقين برجعتهم: «وَبِإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ»، والتسليم القلبي لما

1- بشرائع ديني: لعلّ المعنى أنّ شرائع ديني وخواتيم عملي تشهد معي بذلك على سبيل المبالغة
والمجاز، أي أنّهما موافقان لما أمرتم به، شاهدان لي بأنّي بكم مؤمنٌ.

يعتقد به الأئمة الطاهرون عليهم السلام: «وَقَلِّ لِقَلْبِكُمْ سَلَمًا»، والاتباع لأوامرهم: «وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ»، وإعداد النصرة لهم: «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ»، والمعيّة المستمرة لهم والبراءة من أعدائهم: «فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ».

فلا تكفي محبة الأئمة الطاهرين أو زيارة قبورهم أو إقامة العزاء لهم من دون الاتباع الحقيقي والعمل بتعاليمهم، كما يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾¹، ويقول - جل ثناؤه - أيضًا: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾².

«وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: إِنِّي مِنْ شِيعَتِكَ، فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ لَنَا فِي أَوَامِرِنَا وَزَوَاجِرِنَا مُطِيعًا فَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنْ كُنْتَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَلَا تَزِدْ فِي ذُنُوبِكَ بِدَعْوَاكَ مَرْتَبَةً شَرِيفَةً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا، لَا تَقُلْ لَنَا أَنَا مِنْ شِيعَتِكَ، وَلَكِنْ قُلْ أَنَا مِنْ مَوَالِيكُمُ وَمُحِبِّيكُمُ وَمُعَادِي أَعْدَائِكُمْ وَأَنْتَ فِي خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ»³.

وقال رجلٌ للحسين عليه السلام إنّه من شيعتهم، فقال له عليه السلام: «اتَّقِ

1- سورة آل عمران: 31.

2- سورة إبراهيم: 36.

3- المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 65، ص 156.

الله ولا تدعين شيئاً يقول الله لك: كذبت وفجرت في دعواك، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم¹. فالمقياس الحقيقي عند أهل البيت عليهم السلام ليس الادّعاء والانتماء، بل هو التبعية والعمل والسلوك الخارجي، سيّما فيما يرتبط بأداء الواجبات - كأداء الصلاة في أوقاتها، وصلة الأرحام، وأداء الحقوق الشرعيّة وحقوق الناس، وأداء الأمانات وغير ذلك - والانتهاز عن المحرّمات، كالكذب والنظر إلى المحرّمات والغيبة والنميمة والفتنة بين المؤمنين واتباع أصحاب الدعوات المستحدثة والضلالة، وتشويه سمعة مذهب أهل البيت عليهم السلام ببعض الممارسات والتصرّفات المشبوهة ونحو ذلك.

وعلى كلّ حال فقد ورد التأكيد على علاقة الإمام المهديّ بجده الحسين عليه السلام في زياراتٍ أخرى، من قبيل ما ورد في زيارة عاشوراء؛ إذ إنّ المؤمن يسأل الله المعية مع الإمام المنصور، وهو مهديّ آل محمّد عليه السلام في طلب ثار الإمام الحسين عليه السلام: «فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ عليه السلام». وورد أيضاً في فقرة أخرى: «وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ».

النهضة المهدويّة استمرار للنهضة الحسينيّة

إنّ النهضة المهدويّة مشحونةٌ وملبئةٌ بالشعائر الحسينيّة، ويمكن القول بحقٍّ أنّ النهضة المهدويّة هي استمرارٌ للنهضة الحسينيّة؛ فقد تبلورت وتجلّست علاقة الإمام المهديّ عليه السلام بجده المظلوم الإمام الحسين عليه السلام في عدّة أمور:

أ- الهدف المشترك بين الإمام المهديّ عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام: فالأهداف السامية لقيام الإمام المهديّ عليه السلام هي نفسها التي قام لأجلها جده الإمام الحسين عليه السلام، فالأهداف المعلنة التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام هي طلب الإصلاح في أمة جده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بسيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فكذلك ابنه الإمام المهديّ عليه السلام، إذ يخرج لتحقيق هذه الأهداف والمقاصد الشريفة نفسها.

ب- أعداء الإمام المهديّ عليه السلام هم من ذريّة أعداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء:

«عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي حَدِيثِ رُؤْيٍ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ قَتَلَ ذُرَارِيَّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام»

بِفِعَالِ آبَائِهَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ كَذَلِكَ. فَقُلْتُ فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ مَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ لَكِنَّ دَرَارِي قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ يَرْضَوْنَ أَفْعَالَ آبَائِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِهَا وَمَنْ رَضِيَ شَيْئًا كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي الْمَشْرِقِ فَرَضِيَ بِقَتْلِهِ رَجُلٌ فِي الْمَغْرِبِ لَكَانَ الرَّاضِي عِنْدَ اللَّهِ شَرِيكَ الْقَاتِلِ وَإِنَّمَا يَقْتُلُهُمُ الْقَائِمُ إِذَا خَرَجَ لِرِضَاهُمْ بِفِعْلِ آبَائِهِمْ. قَالَ فَقُلْتُ لَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ يَبْدَأُ الْقَائِمُ فِيهِمْ إِذَا قَامَ؟ قَالَ يَبْدَأُ بِبَنِي شَيْبَةَ وَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَرَّاقُ بَيْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ¹.

ج- شعار الإمام المهديّ ﷺ وأنصاره عندما يقومون هو:
(يا لثارات الحسين)².

إذا خرج القائم عليه السلام يطلب بدم الحسين عليه السلام، فهو الطالب بدم المقتول بكرلاء:

«عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» قَالَ: إِنَّ الْعَامَّةَ يَقُولُونَ نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَخْرَجَتْهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ وَإِنَّمَا هِيَ لِلْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَرَجَ يَطْلُبُ بَدَمَ

1- ابن بابويه، محمد بن عليّ، علل الشرائع، ج 1، ص 229، الباب 164؛ ابن بابويه، محمد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج 1، ص 273.

2- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 545.

الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَوْلُهُ: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ الدَّمِ وَطُلَّابُ الدِّيَةِ¹.

د- التلّيف والتأسّف والبكاء على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ صباحًا ومساءً:

قد ورد في زيارة الناحية المقدّسة أنّ الإمام المهديّ ﷺ يتحسّر من أنّ الدهور أخرته عن نصره جدّه أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالإمام الحجّة ﷺ يبدي أحاسيسه الجياشة وعواطفه اللطيفة لمظلوميّة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقول:

«فَلَيْتُ أَخَّرْتَنِي الدَّهْرُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمُقْدُرُ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِبًا، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ الْعَدَاوَةَ مُنَاصِبًا، فَلَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَلَا بَكِيَّ عَلَيْكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَمًا، حَسْرَةً عَلَيْكَ وَتَأْسَفًا عَلَى مَا دَهَاكَ وَتَلَهَّفًا، حَتَّى أَمُوتَ بِلَوْعَةٍ² الْمُصَابِ وَغُصَّةِ الْإِكْتِابِ»³.

هـ- إنّ الشجرة الطيّبة التي غرست في يوم غدير خمّ وهي شجرة ولاية أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسُقِيَتْ بدم أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بكربلاء، هذه الشجرة المباركة - وإن كانت تؤثي أكلها كلّ حين بأذن ربّها - تؤثي ثمراتها اليانعة والطيّبة في عهد حكومة الإمام

1- القمّي، عليّ بن إبراهيم، تفسير القمّي، ج 2، ص 85.

2- اللوعة: حرقه الحزن.

3- ابن المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير، ص 501.

المهديّ عليه السلام، فقيام القائم هو العلة الغائيّة للنهضة الحسينيّة، بمعنى أنّ الهدف من قيام الإمام الحسين عليه السلام هو إحياء الدين ومعاله، وتجديد الفرائض والسنن واستئصال الظلم والفساد، وهذا الهدف المقدس سوف يتحقق في عصر ظهور الإمام المهديّ عليه السلام.

و- أنّ لهذا الحشد الغفير من الزوّار في أربعينيّة الإمام الحسين الخالدة إنّما يأتي كلّ عامٍ لتجديد العهد والبيعة مع الإمام المهديّ عليه السلام عند قبر جدّه أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإعلان التأهب والتهيؤ لنصرة إمامٍ منصورٍ، وكذلك إعلان التضحية من أجل الأهداف السامية المهدويّة، والزيارة الأربعينيّة اليوم تعدّ أكبر مظاهرة بشريّة في العالم، بل وفي تاريخ التشيع والإسلام لإعلان البيعة والنصرة للإمام الحجة عليه السلام.

البعد الرابع: المعاد في الزيارة الأربعينيّة

إنّ الأسس العقديّة عناصر مترابطةٌ لا يمكن فصل بعضها عن بعضٍ، فالتوحيد والنبوّة والمعاد والإمامة تشكّل منظومةً واحدةً متماسكةً، وإنّ بحث المعاد والاعتقاد بيوم الجزاء من المعارف الرئيسة التي وردت في زيارات المعصومين عليهم السلام، خصوصاً في زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

حاول أئمة أهل البيت عليهم السلام ترسيخ عقيدة المعاد وما يرتبط

بالحياة الأخروية في قلوب أتباعهم وشيعتهم من خلال الأدعية والزيارات، فقد ورد في زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام: «اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً، فاشهد لي أنني أشهد أنك حق، وأنّ رسولك حق... وأنّ نارك حق، وأنّ جنتك حق، وأنّك مميت الأحياء ومحيي الموتى، وأنّك باعث من في القبور، وأنّك جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأنّك لا تخلف الميعاد»¹.

من ناحية أخرى يحشر الناس يوم القيامة مع إمامهم الذي كانوا يتبعونه في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾²، فمن كان إمامه وقائده³ في الدنيا أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فالإمام عليه السلام إمامه ورائده وقائده غداً يوم الفرع الأكبر، وسيهديه إلى الجنة والسعادة، ومن كان إمامه ومقتداه في الدنيا الطواغيت والفجار فهم أئمتهم يوم القيامة، كما في قوله - تعالى - في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ

1- المجلسي، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 98، ص 168.

2- سورة النساء: 49.

3- كما ورد في الزيارة الأربعينية: «وَجَعَلْتُهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ، وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَدَائِدًا مِنَ الدَّادَةِ».

الْوَرْدُ الْمَوْزُونُ¹.

والسرّ في هذه المعية والعلاقة هو أنّ الإمام المفترض الطاعة هو الصراط في الآخرة، فمن تمسّك بإمامه أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الدنيا مرّ على الصراط بسلامةٍ وعافيةٍ، ومن تخلّف عن إمامه المفترض الطاعة في الدنيا، ولم يتّبعه فقد زلّ عن الصراط وتردّى في النار وهوى.

والأخبار في تفسير الصراط بالأئمة عليهم السلام وولايتهم كثيرةٌ، فالصراط ما يؤدّي الناس إلى مقصودهم، فهم صراط الله المستقيم، الذي يوصلنا إلى الله وطاعته وقربه ورضوانه بولاية أهل البيت عليهم السلام، والقول بإمامتهم وطاعتهم، وصراط الآخرة صورةٌ لصراط الدنيا، فمن استقام على هذا الصراط في الدنيا اجتاز صراط الآخرة آمنًا إلى الجنة، كما روى الصدوق في (معاني الأخبار) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن الصراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجل، وهما صراطان صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر

البعد الرابع: المعاد في الزيارة الأربعينية 45

جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم¹.

ومما ورد في الزيارة الأربعينية مسألة الشقاوة الأخروية لأعداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين غرّتهم الدنيا، فشرّوا آخرتهم بئس بجس، وأسخطوا النبي محمداً ﷺ بقتل ابنه الشريف: ﴿يَبْئَسَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾⁽²⁾.

قال الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة الأربعينية في شأن قتلة أبي عبد الله الحسين عليه السلام:

«وَقَدْ تَوَارَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْدَلِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالْحَمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطَّرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالشَّقَاقِ وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارِ»³.

وفي قبال هؤلاء الخاسرين وأهل الشقاق، الراجحون وأهل السعادة الذين نصرّوا الإمام الحسين عليه السلام، بتعظيم شعائره والبكاء على

1- ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص 32؛ المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج 5، ص 26.

2- سورة البقرة: 90.

3- ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.

مصائبه، والمشي على أقدامهم لزيارته، فهم في الدرجات العالية في الآخرة، وتشملهم شفاعتُ أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كما صرّحت الزيارة الأربعينيّة بمقام شفاعته عليه السلام: «فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامًا مَعْلُومًا وَشَفَاعَةً مَّقْبُولَةً»¹. وقد وصف الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لابن شبيب مكانة الذين يعظمون الشعائر الحسينيّة، في الآخرة قائلاً:

«يَا بَنَ شَيْبٍ، إِنَّ بَكَيْتَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَصِيرَ دُمُوعُكَ عَلَى خَدَيْكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا. يَا بَنَ شَيْبٍ إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَا ذَنْبَ عَلَيْكَ فُزِرَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. يَا بَنَ شَيْبٍ إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَسْكُنَ الْغُرَفَ الْمُبْنِيَّةَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّ وَآلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَالْعَنَ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. يَا بَنَ شَيْبٍ إِنَّ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلَ مَا لِمَنْ اسْتَشْهَدَ مَعَ الْحُسَيْنِ فَقُلْ مَتَى ذَكَرْتَهُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا. يَا بَنَ شَيْبٍ إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ مَعَنَا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَانِ فَاحْزَنُ لِحُزْنِنَا وَافْرَحْ لِفَرَحِنَا عَلَيْكَ بَوْلَايَتَنَا، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا تَوَلَّى حَجْرًا لَحَشَرَهُ اللَّهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»².

1- المصدر السابق، ج 3، ص 104.

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 545.

الخاتمة

تبين في هذه الكراسة مشروعية زيارة الأربعين واستحبابها عن طريق النصوص التي تشدد على زيارة الحسين عليه السلام، وقد عبّر عنها الفقهاء بأنها من ضروريات المذهب والدين، كما تدلّ العمومات من القرآن والسنة على تعظيم شعائر الله وتعظيم حرّماته، وأنها من مصاديق الهجرة إلى الله تعالى، وكذلك فإن الرواية الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام تنصّ على أهميّة هذه الزيارة.

كما تبين أنّ للزيارة الأربعينية أبعاداً ومضامين عقديّة، وتتناول هذه الزيارة الماثورة عن الإمام الصادق عليه السلام زبدة أصول الدين، من التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، فهي دورةٌ وجيزةٌ من العقائد الحقّة التي ينبغي لكلّ مؤمنٍ أن يتبنّاها ويعتقد بها.

ولا شكّ أن معرفة الإمام المفترض الطاعة من جهةٍ أنّه (حجّة الله) و(صفيّ الله) و(حبيب الله) تؤدّي إلى معرفة الله تعالى.

وقد ورد أيضاً في الزيارة الأربعينية أنّ الإمام الحسين عليه السلام وارث موارث الأنبياء عليهم السلام من العلم والعصمة والكمالات النفسية، فمن عرف الإمام عليه السلام فقد عرف أنبياء الله تعالى.

وذكرنا أنّ ولاية المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي امتدادٌ لخط

48 الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة

النبوّ، ولها علاقةٌ وثيقةٌ بالقضيّة المهدويّة؛ فمن سلك سبيل محبّته
وولائه وطاعته فسوف يقطف ثمارها اليانعة في الدنيا، وغداً يوم
الفرع الأكبر.

اللّهمّ ارزقنا شفاعَةَ الحسين عليه السلام يوم الورود

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

1. ابن سينا، الحسين، رسائل ابن سينا، قم المقدّسة، نشر بيدار، 1400 هـ.
2. ابن السكّيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، 1949م، الطبعة الرابعة.
3. ابن المشهديّ، محمّد بن جعفر، المزار الكبير، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1419 هـ.
4. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، التوحيد، تصحيح هاشم الحسيني، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1398 هـ.
5. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، قم المقدّسة، مكتبة داوري، 1966.
6. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا، تصحيح مهدي لاجوردي، طهران، نشر جهان، 1378 هـ.
7. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح علي أكبر غفّاري، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1403 هـ.
8. ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب، نشر العلامة، قم المقدّسة، 1379 هـ.

50 الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة

9. ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، تصحيح جواد قيومي الأصفهاني، قم المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلامي، 1997.
10. ابن فارس القزويني، أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، بيروت، دار الفكر، 1399هـ.
11. الإربليّ، عليّ بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، تصحيح رسولي محلاتي، تبريز، نشر بني هاشم، 1381 هـ.
12. الألباني، محمّد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1422 هـ.
13. الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1420 هـ، الطبعة الأولى.
14. الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم المقدّسة، مؤسّسة آل البيت ، 1409 هـ.
15. الحليّ، ورّام بن أبي فرائس، مجموعة ورّام، قم المقدّسة، مكتبه فقيه، 1410 هـ.
16. الراغب الأصفهانيّ، الحسين بن محمّد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشي، المكتبة المرتضويّة.
17. السيوريّ، المقداد بن عبد الله ، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، تحقيق ضياء الدين بصري، قم المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة، 1412 هـ.
18. صدر الدين الشيرازيّ، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، تصحيح محمد خواجوي، طهران، مؤسّسة المطالعات والبحوث الثقافيّة، 2004.
19. الطبرسيّ، أحمد بن عليّ، الاحتجاج على أهل اللجاج، تصحيح محمدباقر

- الخرسان، مشهد المقدّسة، نشر المرتضى، 403 هـ.
20. الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، 1406 هـ.
21. الطّريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، قم المقدّسة، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، 1408 هـ، الطبعة الثانية.
22. الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، 1411 هـ.
23. العياشيّ، محمّد بن مسعود، كتاب التفسير، تحقيق رسولي محلاّتي، طهران، المطبعة العلمية، 1380.
24. الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، قم المقدّسة، انتشارات اسوه، 1414 هـ، الطبعة الأولى.
25. القميّ، عليّ بن إبراهيم، تفسير القميّ، تصحيح موسوي الجزائريّ، قم المقدّسة، دار الكتاب، 1404 هـ.
26. الكفعميّ، إبراهيم بن عليّ العامليّ، البلد الأمين والدرع الحصين، بيروت، مؤسّسة الأعليّ للطبوعات، 1418 هـ.
27. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي، قم المقدّسة، دار الحديث، 1429 هـ.
28. المجلسيّ، محمّدباقر بن محمّد تقي، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، تصحيح مهدي رجائيّ، قم المقدّسة، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، 1406 هـ.

52..... الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة

29. المجلسي، محمّدباقر بن محمّدتقي، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1403 هـ، الطبعة الثانية.

30. المراغي، مير عبد الفتاح بن عليّ الحسيني، العناوين الفقهيّة، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1417 هـ.

31. المرتضى، عليّ بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى، تحقيق مهدي رجائي، قم المقدّسة، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1405 هـ.

32. مؤسّسة الإمام الهادي، موسوعة زيارات المعصومين عليه السلام، قم المقدّسة، 1428 هـ، الطبعة الخامسة.

المحتويات

5	كلمة المؤسسة.....
8	المقدمة.....
12	مشروعية الزيارة الأربعينية.....
17	أهمية الزيارة الأربعينية.....
21	متن الزيارة الأربعينية.....
23	الأبعاد العقدية في متن الزيارة الأربعينية.....
23	البعد الأول: معرفة الله وتوحيده في زيارة الأربعين.....
29	البعد الثاني: النبوة في زيارة الأربعين.....
30	الحسين عليه السلام وارث الأنبياء.....
32	البعد الثالث: الإمامة في زيارة الأربعين.....
33	الأول: صفات الإمام عليه السلام.....
35	الثاني: العقيدة المهدوية.....
39	النهضة المهدوية استمرار للنهضة الحسينية.....
42	البعد الرابع: المعاد في الزيارة الأربعينية.....
47	الخاتمة.....
49	المصادر.....
53	المحتويات.....

